

سجال المرجعية بين السيد الحيدري والسيد الخباز

وكعادته في تناوله للمواضيع التي تشغل الساحة الإسلامية؛ تطرق السيد الخباز في الليلة السابعة من شهر محرم لهذا العام 1434هـ لموضوع المرجعية الدينية في محاضرة له بعنوان "المرجعية صمام الأمان"، وهذا الموضوع شغل الساحة في الآونة الأخيرة بسبب الأطروحات التي قدمها السيد كمال الحيدري في هذا الشأن. ورغم أن السيد الخباز لم يذكر اسم السيد الحيدري في حديثه إلا أن الكثيرين فهموا من كلامه أنه المقصود منه، وذلك لأنه تطرق لبعض النقاط التي تحدث عنها السيد الحيدري، كما أنه ردد بعض عباراته في مقام الرفض والاستنكار، إضافةً إلى أن أسلوبه وطريقته كانت في مجملها توحى بذلك.

وهذا الأمر هو ما جعل البعض -من مناوئي السيد الحيدري- يروج للمحاضرة عبر وسائل الاتصال الحديثة واضعاً لها بعض الديباجات التي تصفها بأنها رداً على السيد كمال الحيدري والأطروحات التي قدمها حول المرجعية الدينية. ولا إشكال لدينا في الرد على السيد الحيدري وآرائه ما دام ذلك يتم بطريقة علمية هادئة ورزينة، فهذا الأمر مرحب به لأنه يدل على وجود حراك فكري إيجابي في ساحتنا الإسلامية، غير أنني لم أرى في محاضرة السيد الخباز ما يمكن اعتباره رداً حقيقياً على آراء السيد الحيدري، لا لأنه لم يكن يقصده بكلامه، بل لأنه لم يتكلم عن الأطروحات التي تحدث عنها السيد الحيدري بالنحو الذي يفندها ويثبت بطلانها.

المرجعية الدينية بين السيدين الخباز والحيدري.. عرض ومناقشة

سوف نقوم بعرض كلمات السيد منير الخباز حفظه الله، ومن ثم سوف نقوم بعرض وجهة نظر السيد كمال الحيدري حول نفس النقطة، ولنرى بعدها إن كان ما قدمه السيد الخباز يمكن اعتباره رداً حقيقياً وفعلياً على ما قدمه السيد الحيدري أم لا.

النقطة الأولى: (تشخيص الأعمى بين السهولة والصعوبة)

تحدث السيد منير الخباز -حفظه الله- حول موقع المرجعية وقال بأنها تعني الأخيرة، أي الأخير والأعرف بالدين (الأعلم)، وذكر لذلك ثلاثة وجوه، حيث تكلم في الوجه الأول عن مقبولة عمر بن حنظلة والتي تفيد أنه إذا اختلف عالمن فالحكم يكون لأفقههما ولأعدلتهما، وفي الوجه الثاني ذكر أن سيرة العقلاء جرت على تقديم الأخير على غيره عند الاختلاف، وفي الوجه الثالث ذكر ما يعبر عنه بالأصل العقلي، وشرح ذلك بقوله: إذا دار الأمر بين مشكوك الحجية ومتيقن الحجية يقدم قول متيقن الحجية، فالأخذ بفتوى الأعمى والعمل بها هو متيقن الحجية، والأخذ بالعكس أخذ بما هو مشكوك الحجية، والعقل في مقام المعذرية وبراءة الذمة يوصي بما هو متيقن الحجية.

أما حول كيفية معرفة الأعمى (الأخبر) فقال السيد الخباز: ((يعرف ذلك أهل الاختصاص وفي زماننا صار الأمر أسهل لكثرة وسائل الاتصال وانتشار البحوث والآراء ورواج الكتب، فتحديد من هو الأخير والأدق صار أسهل من الأزمنة السابقة، لتوفر وسائل الاتصال))^[1]. وهذا ما يختلف عن ما يقوله السيد الحيدري الذي يرى صعوبة ذلك، وفيما يلي عرض لكلامه.

السيد الحيدري وتشخيص الأعمى

تحدث السيد الحيدري عن مسألة التقليد والمعايير التي تتبع في اختيار المرجع، وقال: ((من أهم مسائل باب الاجتهاد والتقليد هي مسألة الميزان في تشخيص الأعمى والأكفأ، وعندما أقول الأكفأ لا أتكلّم عن البعد الإداري، وإنما أعني الأكفأ علمياً والأقدر عملياً أن يكون حصناً للإسلام، وحصناً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. إذاً القضية عندما أعبر الأكفأ والأعلم، مقصودي الأكفأ والأعلم على حفظ ثغور مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الأعمى على أن يدافع عن مباني مدرسة أهل البيت، وعلى أن يجعل الذين يعيشون في دائرة وكنف أهل البيت في أمن وأمان فكري وعقدي... وإذا لم يكن المتصدّي عالم دين بالمعنى الذي أشرت إليه، كيف يمكنه أن يحفظ الدين، وفاقد الشيء لا يعطيه؟ كيف يمكنه أن يكون حصناً

وسدًا منيعًا أمام هجوم الأعداء؟)) [21]. فالسيد يفرق بين المرجع الديني والمرجع في الحلال والحرام [31].

بعدها شكك السيد كمال الحيدري حفظه الله في فعالية المعايير التقليدية وحدها في عملية اختيار الأعلام كالشيعاء، وسؤال أهل الخبرة، إذ يقول: ((في اعتقادي في المكان الذي نعيش فيه لا يمكن الاعتماد على هذه الضوابط مئة بالمئة؛ لأنها لن تنتج النتائج الصحيحة في الأعم الأغلب، وخصوصًا عندما تتوسّع الحوزات العلمية)).

ويرد قائلًا: ((لعله لو كانت عندنا حوزة علمية، وفيها مئة طالب وهناك ثلاثة أساتذة بحث خارج، يمكن لشخص واحد أن يطالع على تراث كل هؤلاء الأعلام ويشخص بعدها بأن هذا هو الأعلام؟ كيف إذا أضفنا إليها حوزة قم التي فيها زهاء ٦٠ ألف طالب وعشرات - إن لم أقل المئات - من الأعلام والأساتذة، كيف يمكن لشخص واحد أو عشرة أو بيئة أو عشر بيئات أن يحددوا الأعلام؟ كيف نستطيع أن نقف على كل تراث هؤلاء؟ خصوصًا ونحن نعلم بأن جملة من هؤلاء لا يوجد لديهم تراث مكتوب، بل قد نجد أنه في عصر واحد أن هذا البيئة يقول هذا أعلم... وذلك يقول ذاك أعلم، وإذا نجد عندنا خمسين بيئة كل يقول عن شخص: هذا أعلم!!)) [41].

أمّا عن الشيعاء فيتحدّث السيد الحيدري قائلًا: ((وأمّا الشيعاء في عصر ثورة الاتصالات والفضائيات، فإن إيجاد الشيعاء أسهل ما يكون... وهذه لا أريد أن أسقط اعتبارها، ولكن أريد أن أقول إنها ليست طرقًا آمنة ومطمئنة للوصول إلى الهدف)).

ويضيف موضحًا: ((وجدت كلامًا لأحد كبار المحققين، ويتعبّر صاحب الميزان السيد الطباطبائي يعبر عنه بأنه قال: أحد أعظم المحققين، إشارةً للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء؟ سئل رحمه الله عن هذه القضية: على القول بوجوب تقليد الأعلام، هل يتعيّن بالشيعاء في زماننا هذا، مع شيوع بعض الأغراض الفاسدة من الأغراض السياسية، أم لا بدّ من قيام البيئة، وإذا تعارضتا فأيهما مقدّمة؟)).

ويشرح السيد الحيدري السؤال قائلًا: ((أي إذا وقع تعارض في الشيعاء أن فلانًا هو الأقدّر والأكفأ للتصدّي أو فلان، فما هو الميزان في ذلك؟)).

ثم يقول مجيبًا: ((يذكر الشيخ كاشف الغطاء ميزانًا مهمًّا جدًّا بعد مقدّمة مفصّلة لا أريد أن أشير إليها لأنها ستأخذ وقتًا كثيرًا. طبعًا السيد القاضي الطباطبائي المحشّي على الكتاب، ينقل هذا الكلام عن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عن حاشية له على كتاب سفينة النجاة، يقول: ذكرنا في تعاليفنا على كتاب سفينة النجاة، الجزء الأول ص ٢٨ طبعة ٦١، ما هو المعيار الصحيح الذي لا ميل فيه ولا حيف... يقول: وما أكثر المدّعين لهذا المنصب، ولاسيّما في هذه العصور التعيسة! وما أكثر المخدوعين بهم جهلاً أو لغرض، والغرض يعمي ويصم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ولقد ذكرنا أنّ أحسن معيار عن صدق هذه الدعوى وكذبها [يقصد صدق المدّعي للأعلمية وللمرجعية] هو الإنتاج العلمي وكثرة المؤلّفات النافعة، وأن طريقة الإمامية من زمن الأئمة إلى عصرنا القريب هو أن المرجعية العامّة والزعامة الدينية تكون لمن انتشرت وكثرت مؤلّفات كالمفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي الذي تكاد مؤلفاته تزيد على الأربعة مئة [ولكن ليس كلّها في الحلال والحرام فقط، بل أيضًا في التفسير، والعقائد، ودفع الشبهات، والكلام، والحديث] والشيخ الصدوق الذي لديه ثلاثمائة مؤلّف، وهكذا هو الميزان الصحيح، والمعيار العادل إلى زمن السيد بحر العلوم صاحب المصابيح، والشيخ الأكبر صاحب كاشف الغطاء إلى الشيخ الأنصاري)) [51].

فالسيد الحيدري إذاً يرى أن هناك آليتان في ذلك وهما:

§ الآلية الأولى: كتابات المرجع وتراثه. أي: أنت تنظر إلى تراثه الذي كتبه، ومن خلال ذلك تتعرّف على علميته.

§ الآلية الثانية: مقدار تدريسه في الحوزات العلمية. ليس الحضور فقط، بل التدريس؛ لأنه قد يكون حاضرًا ولا يدرّس، وهذا لا نستطيع أن نقيّمه [6].

وبعد ذكره لها تين الآليتين يطرح السيد الحيدري هذا السؤال: أين ذهب الشيعاء الذي يذكرونه في الرسائل العلمية؟

ويجب عليه بقوله: ((ليس المراد من الشيع الشيع بين عموم الناس؛ لأنَّ عموم الناس ليسوا من أهل الخبرة والتخصُّص في هذا المجال، بل المراد الشيع بين أهل الخبرة والمتخصِّصين في الحوزات العلمية. فإذا شاع بين المتخصِّصين وأهل الخبرة والعلماء في الحوزات العلمية أنَّ فلاناً من كبار المتخصِّصين فلا إشكال ولا شبهة أنَّ هذا الشيع يدلُّ على مرجعيَّته. ولكن متى يحصل هذا الشيع؟ الشيع متفرِّع على الآلية الأولى أو على الآلية الثانية. يعني إما من خلال مؤلِّفاته وتراثه يتعرَّفون على أنَّه المتخصِّص الأول، أو من كبار المتخصِّصين والأعلام، وإما من خلال حضوره العلمي. ولا قيمة للشيع الذي لا يرتكز على هاتين الآليَّتين. إذاً أنا أعتقد أنَّ من أهمِّ الآليَّات هاتين الآليَّتين: الأولى: تراثه العلمي؛ والثانية: مقدار حضوره العلمي في الحوزات العلمية. وبترتب على هاتين الآليَّتين آلية الشيع، فإذا كان الشيع ناشئاً من هاتين الآليَّتين تكون له قيمة، أمَّا إذا كان الشيع ناشئاً من الإعلام أو من أسباب أخرى، فإنَّ مثل هذا الشيع لا قيمة علمية له)) [7].

(اخي الكريم تستطيع ان تكمل الموضوع من خلال تحميل الملف كاملا)

[للمطالعة وتحميل الملف كاملا اضغط هنا](#)